

البعد الحجاجي في الخطاب الروائي: الإيتوس في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" أنموذجا

*The Argumentative Dimension in the Narrative Discourse:
Ethos in the novel of "Far from Noise, Close to Silence"*

عبد العالي قادا *

جامعة القاضي عياض / المغرب

Yahyaqada77@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/16 تاريخ القبول: 2021/01/05 تاريخ النشر: 2021/01/31

Abstract:

This study is based on the hypothesis that creative literary discourse has argumentative dimensions as it seeks to convince and persuade the recipient, in one way or another, to accept and consider the author's vision, thoughts and sentiments. Narrative discourse, as a creative discourse, intended to be imaginative and entertaining, has certain hidden and implicit argumentative dimensions. Thus, this study seeks to explore one of these dimensions by shedding light on "the Ethos argument" in the novel of "Far from Noise, Close to Silence" by the Moroccan novelist Mohammed Barrada.

Keywords: Argument; discourse; novel; fiction; ethos

ملخص البحث:

ينطلق هذه البحث من فرضية مفادها أن الخطابات الأدبية الإبداعية لها أبعاد حجاجية، فهي تسعى بشكل أو بآخر إلى جعل المتلقي يقبل طرائق التفكير والنظر والإحساس المعروضة عليه. والخطاب الروائي باعتباره خطابا إبداعيا عمدته التخيل ومقصده الإمتاع، له أبعاد حجاجية خفية ومضمرة سنسعى إلى الكشف عن أحدها من خلال تتبع اشتغال حجة الإيتوس في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" للروائي المغربي محمد برادة.

الكلمات المفتاحية: البعد الحجاجي - الخطاب -

الرواية - التخيل - الإيتوس

مقدمة:

ظلت الأعمال الأدبية منفتحة على ما توفره المعارف الحديثة من مناهج وأدوات هدفها الأساس تنوع زوايا النظر إلى النص الأدبي، والكشف عما يزخر به من معطيات فنية، وما يؤديه من وظائف أدبية وتداولية. ويندرج هذا البحث في هذا السياق إذ سيسعى إلى تجاوز المفارقة بين الحجاج والأدب، وبين التخيل والتدليل، من خلال إبراز البعد الحجاجي في الخطاب الروائي، منطلقا من فرضية مفادها أن الخطاب الروائي، وإن كان التخيل والإمتاع عمده وأرقى مقاصده، فإنه يحمل أبعادا حجاجية خفية ومضمرة. و سيسعى البحث إلى إظهار أحد هذه الأبعاد بتتبع اشتغال حجة الإيتوس في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" للروائي المغربي محمد برادة.

I- البعد الحجاجي والمقصد الحجاجي:

تبلورت ثلاثة تيارات كبرى في البلاغة الحديثة¹:

- تيار شعري بديعي يهتم بالصورة figure البديعية، ومن أشهر نماذجه عمل مجموعة Mu أو مجموعة لبيج البلجيكية، كما ظهر في كتابها "البلاغة العامة"، وبرغم انتقال هذا التصور على يد منظرين كبار أمثال ياكبسون إلى التداول العالمي، فإنها ظلت في نظر الطامحين إلى بلاغة عامة للخطاب مجرد بلاغة مختزلة، لأن استراتيجيتها كانت واضحة، وهي البحث في "الأدبية"؛ أي ما يجعل نصا ما نصا أدبيا. وقد تحدث جيرار جنيت عن هذا المسار الانحساري في مقال مشهور له بعنوان "البلاغة المختزلة"²، كما تناوله بارت في كتابه "البلاغة القديمة"³.

- تيار خطابي (بفتح الخاء) منطقي يهتم بالحجج arguments وسبل الإقناع، وأحسن نماذجه

ظهر ببلجيكا، كذلك، مع بيرلمان وتيتيكا في مؤلفهما "مؤلف في الحجاج: الخطابة الجديدة"، وهو تيار يعلن ارتباطه بخطابية أرسطو وبناءه عليها. ويصدق على هذا التيار ما قيل عن التيار الأول؛ فقد اختزل البلاغة في بعدها التداولي الحجاجي.

- تيار خطابي (بكسر الخاء) يسعى إلى دمج التيارين السابقين باعتبارهما "إقليمين" متداخلين في منطقة واسعة كما عبر عن ذلك أوليفي روبول في مقال له بعنوان: "الصورة والحجة"⁴ la figure et l'argument. وتعد روت آموسي من الرواد الذين ينسبون أنفسهم إلى هذا التيار ويدعمونه نظريا وتطبيقيا، وينتهي إليه على الصعيد العربي محمد العمري ومحمد الوالي ومحمد مشبال وحمادي صمود وغيرهم...

ونحن بدورنا نبنى البلاغة بمعناها النسقي بوصفها علما للخطاب المؤثر القائم على الاحتمال ترجيحا أو توهيما، فالتداخل بين التداولي الحجاجي والتخييلي "حقيقة واقعة، تتفاوت مسافتها حسب النصوص والتيارات الخطابية"⁵، وهو تداخل أشار إليه حازم القرطاجني إذ قال: "لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعاتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع.. وكان القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده..."⁶. ولكن وبالرغم من هذا التداخل الوظيفي بين الشعري والخطابي فإن كل واحد منهما يحتفظ بخصوصية، ومن هنا تحدث حازم أيضا عن العمدة والتابع قائلا: "وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانها، مناسبة لها فيما

ويفعل فيه، عن تلك القابلية الخاصة التي تكمن في إظهار استراتيجيات الإقناع.

وهكذا تم التمييز بين المقصد الحجاجي والبعد الحجاجي حسب طبيعة الخطابات وأنواعها، وحسب درجات الحجاجية في كل خطاب، فخطابات المناظرة والخطبة والمرافعة والإشهار... هي خطابات ذات مقاصد حجاجية واضحة وصريحة، لكن الخطابات الأدبية الإبداعية لها أبعاد حجاجية لأنها تسعى بشكل أو بآخر إلى جعل المتلقي يقبل طرائق التفكير والنظر والإحساس المعروضة عليه.

وهذا المعنى يغدو الخطاب الروائي بوصفه خطاباً أدبياً حاملاً لبعد حجاجي سندسعى إلى الكشف عن إحدى تجلياته من خلال تتبع اشتغال حجة الإيتوس في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" للروائي المغربي محمد برادة.

II - مفهوم الإيتوس من الخطابة إلى تحليل الخطاب.

الإيتوس Ethos كلمة يونانية تعني السلوك أو العادة، كما تعني مميزات الشخصية. ويحاط مفهوم الإيتوس ببعض الغموض لدلالته على أكثر من معنى، واستخدامه في أكثر من مجال¹⁰ من جهة، ولتنوع المصطلحات المعبرة عنه نتيجة الترجمات المتعددة من جهة أخرى، فهو يعني عند البعض "أخلاق الخطيب" les caractères، ويعني عند آخرين "الوصف الخلقي" portrait moral، وعند فريق ثالث يأخذ معنى الصورة image، كما يستعمل بمعنى السمات l'allure واللهاجة أو النبرة ton/air...¹¹، وفيما يلي تتبع سريع لتطور مفهوم الإيتوس:

1- الإيتوس في الخطابة الأرسطية:

قسم أرسطو الحجج الصناعية إلى ثلاثة أنواع: بائية ومتلقية وخطابية، أي ما يتعلق منها بأخلاق الخطيب (الإيتوس)، وما يتعلق بميول المتلقي وانفعالاته

قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة، مناسبة لها، مؤكدة لمعانها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة⁷. وهو موقف متقدم لحازم خلصت إليه أموسي وهي تحاول التوفيق بين بلاغة كلاسيكية تتمسك بالمشاريع الحجاجية المصريح بها، ولا تعترف إلا بالخطابات ذات الهدف أو المقصد الإقناعي، حيث لا يكون هناك حجاج إلا حين تتجابه وجهات النظر، وبين تصور التداولية المدمجة مع انسكومبر وديكرو التي ترى أن الحجاج مندرج في المعنى نفسه، بما يعني أن الدلالة توجيهه، فعندما نتكلم فإننا نحاجج... مما دفعها إلى طرح موقف ثالث بلورته في نظرية الحجاج داخل الخطاب التي ترى أن الحجاج يخترق كل الخطابات حسب السياقات الخطابية، فهناك دائما بعد حجاجي حتى مع عدم وجود برنامج صريح للإقناع⁸.

لقد بحث الدارسون المحدثون في حجاجية متن واسع يمتد من المرافعات القضائية إلى المفاوضات السياسية إلى الوصلات الإشهارية إلى الأعمال الأدبية الشعرية والسردية... "غير أن ترك الأمر على هذا الإطلاق لن يفيد منهاجيا، بل الأولى أن نميز، كما يذهب إلى ذلك الحس المشترك، بين النص الذي يستهدف "المقارعة بالحجة" من أجل تغيير وجهة نظر أو ترسيخ فكرة، أو الدفاع عن قضية، وبين النص الإخباري التقريري، أو حتى الإبداعي الأدبي (شعري أو سردي).. الذي يتضمن بعدا حجاجيا على درجات من القوة والضعف تصل حد الخفاء"⁹. مما جعل روث أموسي تميز بين الخطاب الذي له "هدف أو مقصد حجاجي"، والخطاب الذي له "بعد حجاجي"؛ أي أن تميز هذه القابلية في كل خطاب لأن يؤثر في مخاطبه

2- الإيتوس في الدراسات البلاغية واللسانية الحديثة:

لم يحظ الإيتوس في مصنفات البلاغة الجديدة باهتمام كبير، فيبرلمان الذي زعم أنه سيقدم قراءة جديدة للخطابة القديمة، في سعيه لبناء منطق للقيم يرتكز على اللغة الطبيعية في ليونتها والتباسها، لم يقدم سوى ملاحظات عابرة عن الإيتوس، إذ أشار إلى أن تصديق الجمهور كلام الخطيب يرجع من جملة ما يرجع إليه إلى شخصية الخطيب نفسه ومنزلته بين الجماعة، وإلى المهنة التي يزاولها. كما نبه إلى ما ينجم عن أقوال الخطيب من صورة يكون لها دور مهم في تحديد الكيفية التي يستقبل بها الجمهور تلك الأقوال¹⁶. وهي الملاحظات نفسها التي كررها Olivier Reboul ..

وقد أعادت الدراسات اللغوية والتداولية الاعتبار للذات المتكلمة خاصة مع بنفينيست E.Benveniste حيث أكد أن الإنسان لا يستوي ذاتا إلا داخل اللغة وعبرها، كما انصبت جهود أركيوني على بيان ما ظهر من آثار المتكلم في اللغة وما خفي منها، لكننا سنجد إحالة صريحة على الإيتوس عند ديكرود من خلال نظرية تعدد الأصوات داخل الملفوظ الواحد¹⁷، حيث ميز بين الذات المتكلمة Sujet parlent وتمثل الفرد الذي ينهض بالتلفظ الفيزيائي للملفوظ وقيم خارجة، وبين القائل Locuteur الذي يثبت في صلب الخطاب ويتحمل مسؤولية الملفوظ، كما ميز ديكرود داخل القائل نفسه بين قائل أول locuteur هو مصدر القول، وهو يعادل الإيتوس عند أرسطو، وقائل ثان Enonciateur هو موضوع القول. ويضرب مثلا للتمييز بين القائلين: عندما يتصاغر الخطيب فيسند لنفسه صفات الخطاء والعاجز عن معرفة كل شيء، فلنا في هذه الحالة قائلان: قائل أول (الإيتوس) أحرز عن ثقة الجمهور وحصلت له صورة

ونوازه (الباتوس)، وما يتعلق بالخطاب (اللوغوس). فالإيتوس بالمعنى الأرسطي هو الفضائل الأخلاقية التي تعطي للخطيب مصداقية، فالمتكلم "يكسب المقولة" مصداقية" ويوفر في الحركة الحجاجية عنصر "الثقة"، وهو عنصر خارج الاستدلال لكن له دوره في تحقيق عملية الإقناع¹²، ويستمد الإيتوس عند أرسطو قوته من "الصورة التي تكون للمتكلم لدى السامع ومن الأثر الذي يتركه الخطيب في نفوس الجمهور، فعلى قدر نضاعة هذه الصورة وحسن هذا الأثر تهيأ للخطيب فرص الفوز بإعجاب الجمهور وكسب ثقتهم"¹³، وهذه الصورة لا تشترط الصدق لحصولها، إنها انطباع يتحقق بالإيحاء، فالمتكلم يقول بلسان حاله: "أنا صادق.. أنا خير.. أنا على هذا النحو ولست على تلك الشاكلة" دون أن يصح بذلك، لأن التصريح قد يجني على المتكلم أكثر مما قد ينفعه "فمن يثني على خصال خصومه يظهر بمظهر الرجل الصادق الأمين... والذي يبطن خطابه بإشارات عامة وبشواهد فله صورة المتبحر يظهر عليها"¹⁴. وإجمالا نسجل حول مفهوم الإيتوس الأرسطي الملاحظات التالية:¹⁵

- الإيتوس مفهوم خطابي (نسبة إلى الخطاب)، فهو يتأسس من خلال الخطاب، وليس صورة للمتكلم تقع خارج الكلام؛
- الإيتوس مرتبط في العمق بسيروية تأثير على الغير ذات طابع تفاعلي؛
- الإيتوس في العمق مفهوم هجين (اجتماعي/خطابي) فهو سلوك يجري تقييمه اجتماعيا، ولا يمكن إدراكه خارج وضعية تواصلية محددة، هي نفسها مدمجة داخل وضع سوسيو-تاريخي محدد.

4- الإيتوس من منظور تحليل الخطاب:

يعد مانغينو Dominique Manguineau من أبرز الذين أعادوا النظر في مفهوم الإيتوس وفق تصور جديد خرج به من ساحة الخطابة إلى تحليل الخطاب، ومن "متصور نظري إلى أداة إجرائية توصل بها الباحث في تحليله طائفة من النصوص الأدبية وغير الأدبية بعد أن عرض لمختلف القضايا التي يثيرها هذا المفهوم"²².

لقد ميز مانغينو بين إيتوس ينشأ داخل الخطاب ويتشكل ساعة القول، ويتعلق بصورة القائل لا بصورة المتكلم الحقيقي وهو الإيتوس الخطابي Ethos discursif، وآخر سابق على الخطاب Ethos prédiscursif، ويتمثل في الصورة التي يحملها الجمهور عن المتلفظ انطلاقاً من مكانته الاجتماعية وتموقعه الإيديولوجي وجنس خطابه... فهو ضرب من التوقع "يكون الصورة الأولية الحاصلة عن صاحب النص وعلى أنقاضها تتشكل ساعة القراءة صورة أخرى قد تطابقها أو تقترب منها وقد تفرقها أو تنأى عنها"²³. كما ميز مانغينو بين الإيتوس المستهدف والإيتوس المنتج، فالأول صورة ينشدها القائل، والثاني صورة يستخلصها المتقبل لا تتطابق بالضرورة مع الصورة الأولى.

لقد أصبح الإيتوس من منظور تحليل الخطاب ضرباً من التمثل مداره على صورة يستخلصها المتقبل من خلال كلام القائل، ومن خصائص ذلك التمثل "أنه ينشأ على التدرج، ومن مميزات تلك الصورة الحركة وعدم اكتمال الملامح، فقد يشرع المتقبل في بناء صورة ما فإذا ما قطع في قراءة النص أشواطاً نقض ما كان أبرمه وبنى على أنقاض تلك الصورة أخرى"²⁴.

لقد اعتمد مانغينو على الخطابات المكتوبة وجعلها عمدة أبحاثه، وأكد أنه في كل نص "صوت

جيدة عندهم هي صورة المتواضع، وقائل ثان عليه دار الكلام وإليه أسندت صفات العجز والنقص"¹⁸.

3- الإيتوس في الدراسات السوسيولوجية:

حظي الإيتوس باهتمام كبير في الدراسات السوسيولوجية خاصة ما عرف بالتفاعلية الرمزية التي ظهرت في كاليفورنيا في منتصف القرن العشرين، والتي أكدت "بأن النظام الاجتماعي حصيلة تفاعلات الأفراد، وأنه بناء لا يستقر على حال، وأن المهمة المناطة بعالم الاجتماع تتمثل في الكشف عن التفاعل الحاصل بين أفراد المجتمع، وفي دراسة ما تصطنعه الذوات الاجتماعية من طرائق وإجراءات لتخطي العقبات الناجمة عن فعل التواصل في صلب الحياة اليومية وخلال الأنشطة العادية"¹⁹.

هذا الانشغال بالتفاعل الاجتماعي هو ما قاد Erving Goffman أحد رواد المدرسة التفاعلية الرمزية إلى دراسة المحادثات بين الأفراد باعتبارها التحقق الفعلي للتفاعل الاجتماعي، فاعتبر الحياة اليومية ضرباً من الإخراج المسرحي لا تنفك فيها الفواعل الاجتماعية عن الاضطلاع بأدوار مختلفة وتقمص أقنعة متعددة بحسب ما يربط بينها من علاقات... "فالتفاعلات الخطابية تدفع الفرد إلى أن يبحث عن صورة جيدة لنفسه وينشئ انطباعاتاً حسناً بشأنه يبرزه في مظهر لائق ويكون لكلامه وقع وتأثير على مخاطبه"²⁰.

وقد أفادت أركيوني من أبحاث كوفمان، واعتمدت مقاربتة التفاعلية لتحليل المحادثة والكشف عن قواعدها، فتحدثت عما سمته الإيتوس الجماعي Ethos collectif حيث تنفرد "كل جماعة ثقافية أو عرقية بأسلوب تخاطبي معين وطريقة في الظهور والتصرف أثناء التفاعل، تتحدد بحسب نظم القيم السائد في تلك الجماعة"²¹.

غير أن كون الإيتوس صورة للذات تتشكل من خلال الخطاب لا يعني أن كل خطاب ينتج صوراً فريدة، ففي كل ثقافة هناك نماذج لإيتوسات جاهزة تدخل في باب التمثيلات المشتركة بين الباث والمتقبل، لذلك فعلى قدر وضوح الصورة المشكلة خطابياً واقترباً من حقيقة الجمهور "تزداد صورة القائل في خطابه قرباً من متقبله وتأثيراً فيهم، لأنهم وجدوا أنفسهم فيها ورأوا قيمهم وأفكارهم على صقالها".²⁹

كما يؤكد مانغينو أن الإيتوس "يتجاوز بكثير إطار الحجاج، ذلك لأن مفهوم الإيتوس يسمح بما هو أبعد من الإقناع بالحجج، فهو يسمح في الواقع بالتفكير في السيرة الأوسع التي تعمل من أجل انخراط الذات في موقف معين".³⁰ ولعل هذا ما ترومه جل الأعمال الأدبية.

II- الإيتوس في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" لمحمد برادة:

1-دعوى الرواية:

إذا كانت الخطابات ذات المقاصد التخيلية عموماً لا تملك أطروحة صريحة تسعى إلى الإقناع بها، ولا توظف الإيتوس أو صورة الذات المتلفظة باعتبارها حجة صريحة تدعم هذه الأطروحة، فإنها لا تعدم دعوى خفية ومقصدية متوارية تؤسس لطريقة في التفكير أو النظر أو الإحساس، وتسهم في تشكيل وعي منشود... ولعل هذا ما يبرر البحث في البعد الحجاجي لهذا النوع من الكتابة. فما هي دعوى نص "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات"؟

إن الرواية لا تمنح القارئ دعواها دفعة واحدة، بل تؤسسها لديه تدريجياً من خلال فعل الحكي، وحركة السارد، ومواقف الشخصيات، وسيرورة الأحداث، وتفاعل الزمان والمكان... ومن خلال تلك الإشراقات التي تنقذ في الذهن عندما يلامس التخيل تخوم

يشقه ويحيل على مصدر تلفظه ويمكن من تعيين هيئة المتلفظ فيه من خلال نبرة (ton) معينة لا يخلو منها نص مكتوب"²⁵، ففي كل نص مجموعة من القرائن تساعد القارئ على أن يحصل عن العون التلفظي Instance énonciative الذي يمثل مصدر التلفظ، ويتعلق بعون ذاتي Instance subjective يتميزه مانغينو ويعتبره الطرف الضامن للكلام Garant de parole "يكون له ما يكون للخطيب في التصور الخطابي من خلق معتبر اجتماعياً ومظهر لائق يتجسد في لباسه وما يصدر عنه من حركات في سائر الفضاءات الاجتماعية التي يكون فيها"²⁶، لأن الكلام لا يكتسب قيمة إلا إذا تجسد في جهة معتبرة اجتماعياً.

ويؤكد مانغينو أن القراءة ليست تماهياً مع شخصية الضامن، بل هي نفاذ إلى عالم من القيم استناداً إلى ذلك الضامن، لذلك اصطنع مفهوم الانخراط الجسدي أو الحلول L'incorporation كي يوضح "طبيعة العلاقة التي ينشئها الإيتوس بين الخطاب ومتقبله، فالخطاب يخرج متلفظه من ذات مجردة إلى هيئة مجسدة تضطلع بدور الضامن وتشكل جهة منها يستمد الخطاب شرعيته، وإليها يستند المتقبل في إنشاء تمثيل حركي للخطاب"²⁷. والهدف غير المعلن عنه أن يحل المتقبل في ذلك الجسد أي ذلك الضامن الذي اتخذ هيئة وتحلى بأخلاق وحمل قيماً، مما يفضي "إلى نشوء جسد اجتماعي متخيل يضم سائر المتقبلين الذين التحموا بالخطاب ونفذوا إلى عالم قيمه. فليس التأويل مجرد فك لسنن الخطاب أو استهلاك لطائفة من الأفكار والمعلومات، بل هو ضرب من التجربة المحسوسة يعيشها المتقبل ويلتحم أثناءها بإيتوس الخطاب باعتباره السبيل التي تفتح على العالم الأخلاقي الموجود في قرار كل نص".²⁸

البوح في متن الرواية تؤكد أن هذه المسألة هي مجرد وسيلة، وأن هذا الاستكشاف لن يتحصل عبر وصفة جاهزة مدسوسة في ثنايا النص سيظفر بها القارئ متى أنهى آخر كلماته، لأن صدمة الذات بعد التحولات التي عرفها مغرب الاستقلال، جعلها أسيرة "مجموعة من الهواجس، فهي ذات قلق، تائهة بين إرث الماضي ومعطيات الحاضر"، مما جعلها تتعايش مع انقسامها على مستوى السطح وتتفادى النفاذ إلى الأعماق. وهو وضع تحاصره الرواية وتستفزه من خلال بوح شخصياتها وانكشافها الكامل أمام نفسها، يقول توفيق الصادقي: "أنا توفيق الصادقي أعلن بأعلى صوتي: أنا حانق، حائر، مضطرب"³⁵، وهو القلق ذاته الذي عبر عنه فالح الحمزاوي بقوله: "ما لا أستطيع صوغه في كلمات، مع أنني أحسه ملازماً تفكيري في ما يشبه الهوس، هو شعوري الطاغي بـ"الخدعة" في تجليات مستشرية في أكثر من مجال... في مناخ يلفه اللون الرمادي"³⁶. يراهن النص إذن على مغادرة المنطقة الرمادية، منطقة البين بين، ليحل القارئ في ذات قلقه ومتسائلة ومنكشفة أمام نفسها، قلق يخلق لديها وعياً، وهذا الوعي هو الذي سيخوض مسيرة البحث عن الأجوبة التي لا يقدمها النص، وسيسعى من خلالها القارئ إلى تحقيق التغيير المنشود...

رهان النص إذن ودعواه هو تخليص الذات من حيادها السلبي، وقبولها بالانقسام والعيش على سطح همومها، ودفعها إلى الغوص في الأعماق بقلق السؤال المحمل بعبر الماضي، وتحديات الحاضر، لتيسير الانخراط في المستقبل والالتحاق بالركب الحضاري الذي لا ينتظر.

فكيف سيساهم الإيتوس في دفع القارئ نحو تبني هذه الدعوى، أو الحلول فيها باعتبارها حالة نفسية متوترة ومنتجة في الآن ذاته؟

الحقيقة والواقع، وعندما تتشكل تلك الوشائج وتبسط تلك الجسور بين حكي تجتمع خيوطه في يد سارد يحركها كيف شاء، وبين واقع دينامي عصي على الإمساك... ولعل هذه الوشائج والجسور كثيرة في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات"، فالقارئ يتملك من خلالها دعوى النص تدريجياً، ويحدد معالمها وهو ينتقل من حدث إلى حدث ومن شخصية إلى أخرى، ومن رواية أصل إلى رواية فرع... يقول الراجي عن المؤرخ الرحماني في بداية الرواية: "تحدث بإسهاب عن مشروعه والأسئلة التي تؤرقه منذ ثلاثين سنة، وها قد جاوز السبعين من عمره، وهو لا يكاد يجد تفسيراً لما عاشه قبل الاستقلال وبعده، لأن تناقض الأحداث والمواقف يبلبل فكره"³¹، ويضيف "وعلى رغم أنه شارك في الكفاح الوطني وخالط النخب والجماهير، فإنه يحس نفسه غريباً 'غربة الأيتام في مأدبة اللثام'"³²، يحضر الكاتب هنا حتى تكاد تتطابق شخصية المؤرخ الرحماني وشخصية المؤلف برادة، وكأن الكاتب يختفي خلف الرحماني الراغب في إعادة قراءة تاريخ المغرب انطلاقاً من بوح شخصوه، ليحمل روايته دعواه وعلى لسان الرحماني مرة أخرى "لذلك قرر أن يواجه المشكلة بحزم وعزم ليصل إلى ما يطمئنه ويثلج صدره، وفي الآن نفسه ينشر نتائج بحثه للناس ليبدد ما يشغل بالهم ويجعلهم حائرين ومدوخين، لا يكادون يتعرفون على أنفسهم وما حولهم، معرضين عن التساؤل، لا يتوقفون عن الجري في حلبة سباق تستنزف أنفاسهم"³³. وهو بحث لم ينجز.

إن دعوى نص رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" هي بناء وعي متحرر قادر على ربط الماضي بالحاضر "واستكشاف طريقة لاسترجاع حماس يشبه ذاك الذي رافق الكفاح الوطني"³⁴، من خلال مساءلة التاريخ المغربي الحديث، غير أن سيرورة

2-الإيتوس القبلي (ما قبل الخطابي):

أكد مانغينيو أن القارئ يحمل صورة مسبقة عن المتلفظ قبل أن يشرع في تلقي خطابه، فحتى "عندما لا يعرف المخاطب أي شيء مسبق عن إيتوس المتكلم، فيكفي أن يصدر عن جنس من أجناس الخطاب أو عن موقف إيديولوجي ما لكي ينتج عن ذلك انتظارات بخصوص الإيتوس"³⁷. أما الأمر يتعلق بمحمد برادة فإن القرائن المؤسسة للإيتوس القبلي والتي حددها مانغينو في المكانة الاجتماعية والخلفية الأيديولوجية وجنس الخطاب تبدو واضحة جلية، فالقارئ يستقبل رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" بصورة مسبقة، عن المتلفظ الفزيائي، قوامها: المثقف المخضرم والروائي المجدد والمناضل الطلائعي الذي ينشد الحرية بصفتها شرطا حيويا لإغناء التجارب البشرية ودعم تعايش الأصوات، وترسيخ قيم التغيير والفكر المستنير والمسمى الحدائي..

لقد تشكلت لبرادة، خلال سنوات من الحضور الأكاديمي والإبداعي والنضالي، صورة متميزة لمثقف مخضرم عايش مرحلتين من تاريخ المغرب، فهو من مواليد 1938 بالرباط، بدأ الكتابة في سن مبكرة حيث نشر قصة بعنوان "المعطف البالي" في جريدة العلم سنة 1957، وكان من مؤسسي اتحاد كتاب المغرب والذي ترأسه لثلاث ولايات متتالية، نال شهادة الدراسات المعمقة في الفلسفة بجامعة محمد الخامس سنة 1962، وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون الفرنسية سنة 1973. له مؤلفات عديدة توزعت بين الترجمة والنقد والرواية... يقول عن نفسه: "أنا أنتهي إلى جيل مخضرم بدأ يتلمس طريقه إلى الكتابة وحصيلة الإنتاج الأدبي المغربي لا تتعدى بضعة نصوص تحصى على رؤوس الأصابع"³⁸ ويقول عنه محمد الداوي: "أجدني، في

الحديث عن محمد برادة، منجذبا إلى صورته المتعددة التي نحتتها تجربته الطويلة في التدريس والنقد والترجمة والإبداع القصصي والروائي والنضال السياسي والعمل الجماعي"³⁹.

إن القارئ وعلى قدر انفتاحه على كتابات محمد برادة، والكتابات عن محمد برادة، تتحدد لديه وبالتدرج معالم صورة المثقف المغربي التقدمي المخضرم المنشغل بهوم الوطن...

لكن هذه الصورة العامة تتخصص عندما يجد القارئ أن جوهرها في صورة الروائي المجدد والمهوس بسؤال الذات وأزمة الوطن يقول عن نفسه: "عندما بدأت في مطلع الثمانينيات كتابة "لعبة النسيان" كنت في مرحلة صعبة جراء أزمة الرصاص، وتعثر الفكر اليساري، وفشل الأفق القومي التحرري... لجأت إلى كتابة الرواية لأواجه الأسئلة المكبوتة وأمارس حريتي"⁴⁰، ويقول عنه محمد الداوي: "ومن بين الجبهات التي كرس لها محمد برادة وقتا طويلا من حياته جبهة الرواية باعتبارها مدخلا لتعدد اللغوي والثقافي والسياسي، ودعامة أساسية لنقد الذاكرة المحنطة والسلطة المستبدة، ورسم آفاق محتملة للتغيير والعيش الكريم"⁴¹. لم يكن برادة مثقفا وروائيا يواكب سيرورة التغيير من برجه العالي، وإنما كان منخرطا في تحريك سواكن المجتمع وزحزحة الإيديولوجيات السائدة والغالبة والتي كانت تدعم "روح التقليد والمحافظة، والتشبث بالنماذج الجاهزة، ومعاداة ثقافة الاختلاف، والسعي إلى تكريس صوت أحادي يجسد عين الحقيقة المطلقة"⁴²، فانتهى في فترة من حياته إلى حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وساهم في المنظمة العربية لحقوق الإنسان، قبل أن يتفرغ فيما بعد للعمل الأدبي والنقدي. وحتى في إبداعاته كان مناضلا طلائعيا، يقول عن نفسه إنه ينتهي إلى تلك

فيها شروط السرد وما يجعلها تصلح لأن تكون رواية، يقول الراجي: "لم لا أكتب رواية تسائل كتلة سنوات هذا التاريخ الذي يعتبره الجميع أساسيا، والذي رغم قربه يبدو ملغزا، مثيرا للجدل والخصام والأحقاد؟ استهوتني الفكرة ووجدتها وسيلة لكسر رتابة الاستطلاع، وبأبى لإيهام النفس بأنني سأحقق أمنية طالما راودتني وأنا أنني قراءة رواية تركت لدي تأثيرا يشبه السحر"⁴⁵.

وهكذا تحول الراجي من مجرد سارد إلى مؤلف يستلهم الرواية من حياة ثلاث شخصيات من أجيال متباينة (توفيق الصادقي 1931، وفالح الحمزاوي 1956، ونبيهة سمعان 1956)، حيث تعبر كل شخصية عن نفسها بلسانها، وتجمع بين هذه الحكايات المتجاورة تدخلات السارد (الراجي) الذي يقوم بالتقديم والتعليق وإضاءة المسكوت عنه... فماهي الإيتوسات المتشكلة في خطاب الرواية؟ وكيف ستوجه القارئ نحو تبني دعوى النص؟

3-1- الراجي وإيتوس الحياء والمأمول:

ألقى محمد برادة كتابة الرواية بالراجي، وترك له الحق وهو الشاب الثلاثيني في إدارة حكاية تاريخ المجتمع المغربي خلال خمسين سنة انصرمت، فهل كان الدافع وراء ذلك مجرد معالجة بعض المشكلات الميتافيزيقية؟ أم أن برادة أراد أن يخلص القارئ من ثقل الإيتوس ما قبل الخطابي للمؤلف، الذي سيجعل دعوى النص جلية، وتوجيه القارئ للحلول في جسد جاهز حامل لهذه الدعوى ومعبّر عن أخلاقها وقيمها عملية مكشوفة؟

إن برادة وهو يحاول الابتعاد عن شخصيات الرواية عبر راو/مؤلف وسيط هو الراجي، يفسح لها المجال للروح بكل "حياد وموضوعية" ليمنح القارئ فرصة الاقتراب أو الابتعاد منها. بل إن الراجي نفسه حاول الإبقاء على مسافة معقولة بينه وبين المحكي ترسيخا

المجموعة التي درست في المشرق العربي، وعادت "لتخوض بعد الاستقلال معركة بناء أدب مغربي حديث يمتح من حركات التجديد العربية، ومن أصداء التحرير الطلائعية الأوروبية، في سياق الصراع بين قوى المحافظة وقوى التحرير"⁴³.

لا شك، إذن، أن إيتوس المثقف التقدمي المخضرم والروائي المجدد والمناضل الطائفي، المهووس بقلق السؤال، والمنتقد للإيديولوجيات السائدة، والمعادي للمحافظة والركود، سيجعل نفوس القراء مقبلة على "عمله الروائي"، وهي تحت تأثير خبرته الطويلة والمتنوعة، وإنتاجه الغزير والمتعدد، ونضاله المبدئي... مما سيجعلها أكثر انصياعا لدعوى النص.

3- الإيتوس الخطابي:

يضع القارئ الإيتوس ما قبل الخطابي للمؤلف أمامه، وهو لا ينفك عن استحضاره، ليعقد مقارنة بينه وبين إيتوسات سيشرع في بنائها من خلال الخطاب نفسه، ويتمثل الخطاب، هنا، في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات"، وهي رواية نهج فيها الكاتب طريقة من يبغي على توترات العلاقة بين الخيال والواقع، وهو توتر زاد من حدته اعتماد الميتافيزيقيا باعتباره كتابة واعية بذاتها تعكس إشكاليات العلاقة بين الكاتب وعمله، وبين الأدب والواقع، مما حول الرواية "إلى مختبر حقيقي لأسئلة الكتابة والتخييل من خلال توليف رواية داخل رواية"⁴⁴. تتشكل الرواية الأصلية مما يرويه الراجي خريج قسم التاريخ الذي ظل عاطلا عن العمل، والذي قبل العمل مع المؤرخ الرحمانني متكفلا بإنجاز تحقيق أو استطلاع يطرق فيه أبواب من لم يتكلموا بعد عن تلك الفترة الحافلة من تاريخ المغرب... أما الرواية الفرع فتتجلى في كون الراجي تنبه من خلال إنجازته التحقيق (الحكاية الأصل) إلى أن بعض الناس الذين حاورهم حكوا له حكاياتهم الخاصة التي وجد

توضيب للحوار وصياغة لسير حيوات سجلها أصحابها مشافهة، إنما يخاطبني أنا قبل غيري"⁵⁰. لا بد إذن من الاستمرارية ونقل الوعي المنشود بالماضي والحاضر إلى الأجيال القادمة... (2-3)- توفيق الصادقي: إيتوس المثقف المخضرم والقلق

اختار الراجي "توفيق الصادقي" ليبدأ حكيه عن تاريخ المغرب الحديث، فهو المولود سنة 1931، مخضرم طموح، توثق ذاكرته اللحظات السياسية المهمة في تاريخ المغرب، وهكذا ومع تنامي الأحداث ومرور الزمن داخل الرواية يلبس الصادقي صورة المثقف المخضرم والقلق، لنعيش معه "التطور المتسارع لزخم الحركة الوطنية وصداماتها مع قوى الحماية منذ خطاب الملك محمد الخامس في طنجة 1947"⁵¹، وأجواء الاستقلال وعودة الملك من المنفى، ثم التحولات الكبرى في مرحلة ما بعد الاستقلال، وما رافقها من خيبة أمل يقول: "كنت أعلق أملا على الاستقلال في أن يجعلني أستفيد من الجهود التي بذلتها في الدراسة وإعالة الأسرة، وإذ به يضعني أمام متاهات مضیعة... وبعد الاطمئنان والثوق بالنفس على امتداد ثلاثين سنة من حياتي، أجديني مقذوفا في وطيس ملتهب من الصراعات والطرق المتشابكة"، لقد دخل الصادقي في حالة من الذهول أمام التحولات المتسارعة، واصطدم طموحه الشخصي بالمسار الجماعي، وتشتتت نفسه بين تقاليد وعادات متغللة في أعماقه وبين رغبة جامحة في الانفتاح على ثقافة الآخر التي عرفها من خلال لغته و آدابه وفنونه...

لقد جمع الصادقي التناقضات المتفرقة في أفراد أسرته، من أم هي نموذج للمرأة التقليدية المتشعبة بالعادات والأعراف وبالتدين الشعبي وما يرافقه من طقوس... وأخ ثوري راديكالي متمرد يصصر على مواجهة

لإيتوس الحياء، وتحريرا للقارئ من "سلطة السارد وتوجيهه"، يقول: "وأنا أتولى سرد المشهد الأخير من مسار توفيق الصادقي، سألجأ إلى الحياء ما استطعت تاركا للقارئ أن يعيش بدوره حيرة التأويل وإعادة التركيب والتحويل، وربما التماهي أو النفور"⁴⁶. إنه حياء فوق حياء يخلي بين القارئ ودعوى النص، وهو وإن كان حياءا وهميا تخيليا ليس إلا غير أنه يسهل تسلسل الدعوى إلى نفوس المتلقين.

لكن اختيار برادة لسارد بمواصفات مخصوصة: شاب ثلاثيني جامعي معطل يتجاوز إيتوس الحياء إلى إيتوس الاستمرارية أو الإيتوس المأمول، لأن تحقق الدعوى يحتاج إلى عمر قد لا يسعه عمر برادة ولا عمر المؤرخ الرحماني (كلاهما تجاوز السبعين من عمره)، التغيير يحتاج لدماء شابة تحمله وتنشره، يقول الراجي: "أبدت حماسا للعمل مع الأستاذ الرحماني وقلت له إنها الأسئلة نفسها التي تشغلي كمؤرخ مبتدئ"⁴⁷، وإن كانت الرؤية مختلفة، يضيف الراجي: "أميل إلى الاعتقاد بأن الانتقال تعثر لأن شروطه لم تكتمل.. كان الشعب في غمرة أحداث متلاحقة يصعب التحكم فيها أو تخمين عواقبها... وإذن ليس يفيدنا كثيرا أن نصر على استعادة الماضي علنا نعثر في ثناياه على مخرج يجنبنا مخاطر التدهور وتراكم الشروخ المؤلمة"⁴⁸. ومع ذلك وجد الراجي نفسه وهو يحاول الابتعاد عن حيوات شخصياته مضطرا لبسط جزء من سيرته الذاتية، يقول "ومع ذلك أجد في ما كتبتة عن شخصيات روايتي وهمومها، ما يتقاطع ومسيرتي التي لم تبلغ بعد الثلاثين.. ما الضرر إذن في أن ألخص ما أظن أنه مضيء لموقعي الملتبس المجاور لعالم الرواية"⁴⁹. وذلك ما جعل صوته يكون آخر الأصوات المتلفظة في النص لأنه وجد نفسه هو المعني بما كتبه عن مسارات شخصيات روايته، يقول: "إن ما أنجزته من

بإحدى الإدارات، لتساعد أبي على نفقات تعليمي الجامعي"⁵⁶.

يتشرب الفكر النضالي منذ الصغر، حيث شارك في مظاهرات احتجاجية وهو تلميذ في الإعدادي، وحضر اجتماعات يؤطرها "طلاب جامعيون ينتمون إلى تنظيم ماركسي أو حزب يساري"⁵⁷، إلى أن يقول: "على هذا النحو بين مزاح وجد بدأ طعم السياسة يتسرب إلى أعماقنا"⁵⁸، ويضيف: "إن النضال من أجل التغيير يصبح جزءا من وجودي ومستقبلي"⁵⁹.

وفي الجامعة، سيتخصص في الحقوق، وسيُنظم إلى شبيبة حزب يساري، وسيغدو شعار الديمقراطية ومواجهة المخزن هو المفتاح السحري الذي يعلق عليه إصلاح الأحوال في المستقبل غير المنظور"⁶⁰، وستعبر قيم التحرر عن نفسها من خلال الاستسلام لحقوق الجسد ولعبة العواطف العابرة التي لا تقبل التأجيل لأن "تقاليد العفة والتنسك لم تعد تناسب عصرنا"⁶¹.

لكن ومع التقدم في العمر ستبرز بعض التناقضات الضرورية لاكتمال هذه الصورة، فالمناضل المتحرر سيجد نفسه في مواقف حياتية خاصة خاضعا للفكر المحافظ الذي يحاربه، يقول الحمزاوي: "أنا المتعطش إلى التحرر في كل المجالات ما أزال أتعثر أمام مسألة امتلاك العشيقة والزوجة ووضعها "تحت السيطرة التامة" قبل اتخاذ قرار العيش سوية"⁶²، ولا بد من قضاء فترة في السجن يوثق بها المناضل شرعيته التاريخية، وقد يقوده السجن إلى إجراء مراجعات، وربما تعديلات في المسار، وربما اختيار العزلة أو النفي الاختياري... فقد قرر حفيظ رفيق الحمزاوي في النضال "ألا يستأنف النضال بعد خروجه من السجن، وسيكتفي بالمراقبة والتحليل"⁶³. ومع توالي الضربات والمحاكمات والاعتقالات (اغتيال عمر بن جلون 1975)، وظهور الأصولية بوصفها

المخزن ويضطر إلى الهروب خارج الوطن، وابنة متحررة تريد الزواج بشاب نصراني غير آبهة بالتقاليد الدينية والاجتماعية... هكذا هو الصادقي إذن عقلاني منفتح على ثقافة الآخر، لا يجد حرجا في معالجة زوجته من البرود الجنسي. ومحافظ متشبث بالتقاليد يستمد قوته من إيمانه بالله، ويحترم تقاليد بلده وأسرته، ويضغط على نفسه حتى لا ينهال ضربا على ابنته وهي تخبره برغبتها في الزواج من نصراني، وهو تتنازع مشاعر متناقضة بين إحساس بالانتماء "إلى هذه الحركة المتصاعدة صوب أفق الحرية والاستقلال"⁵² وانشداد في الوقت نفسه "إلى استكمال الخطوات الموصلة"⁵³ إلى أهدافه الخاصة... إنها أزمة هوية عبر عنها المحامي الفرنسي بقوله للصادقي: "أنت مغربي ولا شك، لكنك في الآن نفسه من الذين أصبحوا على تماس مستمر مع هويات أخرى بحكم ثقافتك وطموحك المعرفي والمهني، وهذا الحدث الذي تعيشه بلادك... تمهيد لتغيير الهوية الموروثة باتجاه أخرى ما تزال قيد التشكل"⁵⁴.

إن هذه الذات المتشظية بين الهنا والهنالك، بين ثقل التقاليد وأنوار الحداثة، ستتجاوز شخصية الصادقي ليحل فيها القارئ، لأن حالة التشظي والانفصام انتشرت وعمت، والوعي بها والقلق من تداعياتها هو جزء من دعوى النص وسؤال من أسئلته.

3-3- فالح الحمزاوي: إيتوس المناضل اليساري

تعد الصورة التي تشكلها شخصية فالح الحمزاوي في الرواية عن إيتوس يكاد يصير نمطيا للمناضل اليساري المغربي، والذي تتحدد معالمه كالآتي: هو ابن الشعب الناشئ في أسرة فقيرة وحي شعبي، يقول الحمزاوي: "أبي معلم دباغ"⁵⁵، تضطر أخته إلى عدم إكمال دراستها لتساعد أباه على أداء مصاريف تعليمه، يقول: "وجاء قرار أختي حاسما ومنقذا لأنها اختارت أن تتوقف عن الدراسة وتعمل سكرتيرة

الثاني"⁶⁹. بل وينقل هذه الخلاصة لابنه حتى لا "ينخدع ويندفع باتجاه التطرف والطوباوية التي تؤول إلى ضياع العمر، وإعلان التوبة للحصول على الفتات"⁷⁰. ويقول للراجي مرة أخرى: "فقد كاشفت ابني راجع بعد تخرجه.. بما أعتبره خلاصة مفيدة له إذا اهتدى بها، قلت له أنت تعرف أن لي رأس مال سياسيا في الحزب والمجتمع، وعليك أن تستثمره لكي لا تحاسبني أيام شيخوختي بأني أضعت وقتك في النضال والاجتماعات... أنا أريدك أن تهتم بتدعيم وتوسيع مكانة وثروة العائلة مستفيدا من الإمكانيات التي أوفرها لك... بعد ذلك يمكنك أن تمارس السياسة وتقفز بين جنباتها كيف شئت"⁷¹.

إن إيتوس المناضل اليساري وهو يتشكل ويتحول ويندحر يقدم للقارئ تقييما لتجربة إيديولوجية معينة بعد أن يمنحها جسدا واسما وروحا تحس وتتفاعل وتعبر عن قلقها وتناقضاتها، ليبعث في نفسه من جديد قلق السؤال (دعوى النص)، سؤال صرخ به الحمزاوي نفسه: "ما الذي يجعل وهج الاعتقاد والتضحية من أجل الأفضل يتحولان إلى رماد يكسو النفس بعنكبوت الشك والمرارة ويدفعنا إلى قبول الأمر الواقع؟ ما الذي يعوق إنسانا عن الوصول إلى حقيقته التي يعارك الأيام والظروف في سبيل إدراكها؟ هل هي المصالح وقوانين التسوية وصكوك التراضي بين الفاعلين في ساحة السياسة؟ هل هو "تعب المعادن" الذي يجعل الإرادات تضعف وتميل إلى منطق الحلول الوسطى؟ هل هو الزمن وبصمات الشيخوخة اللذان يبددان أوهام الطموح إلى تغيير العالم؟ أم أن الأمر لا يعدو كون جيل يستنفد طاقته من الحماس والثورية، وعليه أن يفسح المجال لأجيال طالعة؟"⁷².

4-3- نبية سمعان: الإيتوس المتحرر

خصما إيديولوجيا يقول الحمزاوي: "خلال الأشهر الأخيرة كثر الحديث عن استقواء التنظيمات الأصولية المتدثرة ب خطاب إسلامي"⁶⁴. وبعد إظهار الدولة لبعض المرونة، سيبدأ تبرير المشاركة في التدبير، فلا "مناص من التنازل واقتسام السلطة مع قوى سياسية أخرى، كي لا يظل المخزن أمام فوهة المدفع، مسؤولا وحيدا عن الخراب"⁶⁵. وستكون الاستجابة سريعة وبدون شروط، يقول الحمزاوي: "المستوزرون تعبوا من الانتظار، وزبائن المخزن يتسع عددهم.. والاعتراف بدور الحزب في الإنقاذ يأتي من أعلى سلطة في البلاد، فلا مجال للتقاعص أو التملص، وتضحيات مناضلين وثقة الناس فينا تحتمان أن نقود التناوب وندفع باتجاه الإصلاح"⁶⁶. ويضيف الحمزاوي "علينا أن نخوض غمار هذه التجربة لأننا لم نخلق للمعارضة... وبدأ التسابق على الوظائف، وأصبحت الوساطة هي جواز المرور"⁶⁷. وسرعان ما ستتوالى الخيبات والانتكاسات، وسيتم التخلي عن المنهجية الديموقراطية وسيقود تيقنوقراطي حكومة 2002، يعلق الحمزاوي قائلا: "تساءلت آنذاك هل يكفي أن نبتدع مثل هذه الجمل الفضفاضة (خطأ في المنهجية الديموقراطية) لنحتج على إجراء تعسفي يعود بالبلاد إلى منطقة السكتة القلبية والشلل وبرلمان السيرك"⁶⁸. ويستمر الاندحار، ويستمر معه التحول في صورة المناضل التي يجسدها الحمزاوي، حيث ستغرق الذات المناضلة في قلق السؤال، قلق سينتج صورتين: واحدة تعتزل المشهد وتكتفي بالتعليق والتحليل وهي صورة تعيش على هامش الأحداث ويمثلها حفيظ السدراتي، وأخرى تدور مع الزمان دورته لتراكم الثروة والنفوذ، ويمثلها الحمزاوي في لحظة استسلامه، يقول للراجي: "وأنت تعرف أنني عشت الحياة من موقعين: موقع الفقر وموقع الرفاه، وأصارك بأنني أؤثر العيش من الموقع

فضيلة ممارسة حريتهن، ولو أنها حرية مقترنة بالتعذيب والتهميش⁷⁹، وهي نصيحة طبقتها هي في حياتها منذ سبعينيات القرن الماضي حيث كانت "ممتلئة ثقة وتحديا... التمرد وتغيير الحياة الخاملة الموروثة، وتكسير طوق الدونية المحيط بالنساء، تلك هي الأهداف التي كانت تتلأأ في سماء الجيل المتعلم الذي أنتهي إليه"⁸⁰. فكان الوعي المتشكل آنذاك تضيف نبهة: "يدفعنا إلى التمرد على التقاليد التي تحث على صيانة الجسد "طاهرا" قبل الزواج. كنا ندرك أن مثل هذه التعاليم تلغي حقنا في أن نعيش حاضرا ونخوض التجربة بانفعالاتها وخصوبتها وأخطائها.."⁸¹، غير أن ذلك لم يكن يتم دائما "في وضوح النهار"⁸².

وتستمر هذه الذات المتحررة في التشكل مع توالي رحلة البوح، ومن باريس هذه المرة حيث ستجد الذات مكانا وفكرا يحتضن تحررها هذه المرة في وضوح النهار، لذلك وبنفس تحرري متمرد يسعى إلى سحق الموروث بقدميه سيغدو فض البكرة إنجازا يحتفى به، تقول نبهة: "ويبقى أهم منجزات إقامتي في باريس، فض البكرة الذي سجلت تاريخ ليلته في دفترتي الذهبي لأحتفل بذكراه كل سنة"⁸³، إنه حدث له رمزيته فمن "السطح إلى العمق هي دائما رحلة تخلخل الكيان وتحدث الدوخة الفاتحة للبصيرة"⁸⁴، حيث سيصبح الجسد وسيلة الذات للتعبير عن تحررها وانبثاقها، وتعزيز إحساسها بالنضج والثقة، تضيف نبهة: "كل مسامي كانت منفتحة لاستقبال تجارب تضبط إيقاع الجسد وتعايرج النفس المتشعبة، بدأت أحسني أكثر نضجا ووثوقا وجراة"⁸⁵. إن هذا الإيتوس المتشكل داخل النص، يحتاج بدوره لإيتوس خارجي يدعمه ويستند إليه، ويساعده على اختراق أعماق قارئ بصيغة المؤنث يعيش صراعا ميرا بين إقدام وإحجام، تقول نبهة: "وأنا أذكر

يحضر الإيتوس المتحرر في الصور المتشكلة لذوات الشخصيات الرئيسة كلها، وإن بنسب متفاوتة. لكن سؤال التحرر بوصفه قيمة من القيم الكامنة في دعوى النص سيبدو جليا حينما يتخذ من المرأة الأنثى والمرأة الجسد حاملا له في مجتمع ذكوري ومحافظ، لذلك مرت ومضاته لامعة في شخصيات ثانوية كلبنى وصوفيا والصيدلانية المتحررة... قبل أن يستقر ويبنى بكل تفاصيله من خلال نبهة سمعان "طبيبة نفسانية عزباء وجريئة في طرح موضوعات شائكة؟"⁷³، ولكي تبني تفاصيل صورة الذات المتحررة والمتمردة بوضوح، تقول نبهة: "علي أن أحكي قليلا عن مسار حياتي وإقامتي في فرنسا، ولماذا اخترت التحليل النفسي مهنة ووسيلة لفهم ذاتي واستيعاب سلوك الناس"⁷⁴. إن رفض الهوية التقليدية والمحافظة سيرافق نبهة مبكرا تقول: "إنني ومنذ المراهقة كان لدي رفض جارف ل"الانحباس الهوياتي" كما يمكن أن أعبر عنه بلغة اليوم"⁷⁵، حيث صاحبها رغبة مجنونة في أن تصبح غيرها⁷⁶، وعبرت عن رفضها لتفسير بعض السياسيين والإيديولوجيين لهذه الرغبة بتأثير الاستعمار السليبي المضعف للهوية تقول: "إلا أنني أعي جيدا أن عزوفي عن أن أنحبس في هوية موروثة، متأكدة... لم يكن فقط بتأثير الحماية الفرنسية الوافدة، بقدر ما هو استجابة لاندفاع وجودية نابغة من أعماقي، وخاصة أن انبثاق هذا الوعي كان بعد مرور أكثر من عقدين على استقلال المغرب"⁷⁷. لقد لاحظت نبهة انفصام الذات المغربية، "فسلوك الناس وتصرفاتهم هي نقض وتناس لهوية تحضر في المناسبات والأزمات وتغيب في المعيش اليومي واللاوعي الثقافي قيد التكون"⁷⁸. لذلك كانت نصيحتها لفدوى بنت توفيق الصادقي بأن تقاوم "مجتمع يسحق، غير مبال، شبابه.. البنات هن جيل اللعنة، والجريئات منهن لهن

التساؤلات عن المستقبل، وتشتد بهم الحيرة أمام مفرق طرق غائم القسّمات"⁹¹.

4- الإيتوس الجامع والإيتوس الجماعي:

يتحدث مانغينيو عن الإيتوس الجامع في الأعمال الأدبية التي تتعدد فيها الأصوات، وتتناسل الشخصيات، فنكون أمام إيتوسات يدركها المتلقي مباشرة من خلال احتكاكه بهذه الشخصيات، لكن ذلك لا يمنع من وجود إيتوس جامع "يتأسس بطريقة غير مباشرة، انطلاقاً من مجموعة متنوعة من العلامات: أقوال الشخصيات، وتقطيع المشاهد مروراً بالسجل اللغوي المختار..."⁹²، ومهما بدت الفروقات بين الشخصيات كثيرة فإنها "مجرد فوارق بسيطة داخل إيتوس المتلفظ الجامع المهيمن والشامل"⁹³، ويؤكد مانغونو أنه في كل نص "صوت يشقه ويحيل على مصدر تلفظه ويمكن من تعيين هيئة المتلفظ فيه من خلال نبرة (ton) معينة لا يخلو منها نص مكتوب"⁹⁴، فكيف تحدد هذا الصوت بوصفه إيتوساً جامعاً في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات"؟

يبني هذه الإيتوس الجامع في الرواية أفقياً، من خلال الإمساك بالخيطوط الرابطة بين شخصيات قد تختلف من حيث الجنس والسن والمهنة... فالصورة التي تقدمها الذات عن نفسها في خطاب رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" تلتقي في صورة المتعلم المثقف القلق والمهموم بالتحويلات العميقة التي يعيشها وطنه، سواء من موقع توفيق الصادقي المخضرم الذي يحاول أن يوفق بين قيم موروثه محكومة بتقاليد متجذرة في أعماقه، وقيم تسلت إلى روحه وجسده من خلال لغة الآخر وثقافته وحضارته وعقلانيته... أم من موقع فالح الحمزاوي الذي لم يفلح في مقاومة مد هذه التحويلات

جيدا، خلال دراستي الجامعية بالرباط، أنني استشعرت الاحتياج إلى نماذج نسائية تمنحني الزاد والمعونة وسط مجتمع غارق في تمجيد الذكورة وتفوق الرجل على المرأة... لم أعر على سير نساء نموذجية من بلادي، لذلك شغفت بأسماء كاتبات وفنانات ومناضلات تقترن أسماؤهن بالجرأة والإسهام في تغيير الأوضاع المزرية الموروثة"⁸⁶، لكن اكتشافها لشخصية المصرية ذرية شفيق كان أكثر تأثيراً لأنها تجربة "مرت فصولها بمجتمع له ملامح مشتركة مع مجتمعي"⁸⁷.

وسيعود القلق والاصطدام بالموروث بعد العودة إلى المغرب، فحين فكرت نبهة في تنظيم صالون أدبي ببيتها تستقبل فيه رجالاً ونساء مرتين في الشهر، لم تكن أمها متحمسة للفكرة "لأن ذلك قد يثير اللغط والتقولات عند جيراننا"⁸⁸، كما أن تخصص نبهة في التحليل النفسي، وقراءتها في مناهجه واجتهاداته، لم يمنعه من القول: "أستشعر يوماً بعد آخر، أنني لا أتوفر على قدرة استجلاء غوامض الشعب الذي أنتمي إليه"⁸⁹. غير أنها لن تتخلى عن ذاتها المتمردة والمتحررة من الأفكار السائدة تقول: "كنت أغضب وأثور كلما سمعت المدافعين عن خيانة "الزوج" يرددون أنها مسألة طبيعية.. قلت مع نفسي لم لا أجرب أنا أيضاً هذه الوصفة مع حرص على دقة اختيار الشريك"⁹⁰. فانسأقت إلى تعدد العلاقات العاطفية والجنسية.

لكن هذه الذات المتمردة والمتحررة وهي تتلبس القارئ، وتنشئ لنفسها جسداً له أخلاقه وقيمه، تعيد القارئ معها إلى دائرة الحيرة والقلق والسؤال، فتصير خادمة لدعوى النص ومؤسسة لوعي منشود أساسه السؤال القلق، تقول نبهة "مع الأيام بدأ الصالون يأخذ مكاناً جوهرياً في نظام حياتي، بدأت أشعر أن جذورا تنبت لي وسط رجال ونساء تلفهم

تستطع أن توقظ الأقرب إليك، أولئك الذين يفكرون بعقل قلوبهم ويشعرون ببصيرتهم، فلن تستطيع أن تبدد الغيم المتكاثف...⁹⁵.

خاتمة:

لقد أفضت مقاربتنا الحجاجية لرواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" لمحمد برادة، حيث أبرزنا دور حجة الإيتوس في الإقناع بدعوى النص، إلى تأكيد ما افترضناه، فالأعمال التخيلية لا تخلو من أبعاد حجاجية، والروائي وهو يخلق شخصيات ويبني أحداثا بأدوات جمالية وتخييلية وفي إطار بنية سردية محكمة، تكشف عنها الدراسة البنيوية والوظيفية للخطاب الروائي، يسعى، بشكل أو بآخر، إلى جعل المتلقي يقبل طرائق في التفكير والنظر والإحساس... ويدفعه إلى تبني دعوى النص، فيصبح التخييل أداة لحمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده، مما يجعل الخطابات

السياسية التي عصفت بمسارنضالي عمر لعقود قبل أن يدور مع هذه التحولات، وفق موازين الربح التي دل عليها ابنه رايح، أم من موقع المرأة النبيلة، الطبية النفسانية التي تجيد الاستماع "نبيلة سمعان" والتي تجعل من جسدها بؤرة لإعلان تمرد لها على مجتمع ذكوري وصائي..

وتلتقي هذه الصورة الجامعة كذلك في ما سماه مانغونو الإيتوس الإيديولوجي، فمع اختلاف مواقع الشخصيات، ومواقفها من العمل السياسي، سواء في مرحلة الكفاح الوطني مع توفيق الصادقي، أم في مرحلة النضال الحزبي والصراع السياسي في مرحلة الاستقلال مع فالح الحمزاوي المنخرط في دينامية سياسية متحولة، أو مع نبيلة سمعان التي لا ترى في الأحزاب سوى ماكينات انتخابية تخلت عن دورها في بناء الفكر والوعي والثقافة، فإن الخلفية اليسارية والراديكالية، أحيانا، المناهضة للمخزن والاستبداد من جهة، والمعادية للقوى الأصولية المحافظة من جهة أخرى تحضر بشكل صريح أحيانا وبشكل خفي في أحيان أخرى في إيتوسات الشخصيات كلها.

وبضم خيوط هذا الإيتوس الجامع إلى بعضها تبدو صورة المثقف القلق المؤطر بخلفية أيديولوجية يسارية جلية؛ وهي صورة نخبوية. فهذا الإيتوس وإن كان جامعا لإيتوسات شخصيات الرواية، فإنه لا يمثل إيتوس الجماعة الغالبة والمهيمنة، أو ما سمته أركيوني "الإيتوس الجماعي"، وهو إيتوس يمتاز بالتماسك العميق مما جعل دعوى الرواية لا تراهن على تغييره، واكتفت بالسعي إلى زعزعة من خلال إثارة قلق السؤال، وكشف الذات المنفصمة أمام نفسها، وإلا فستظل الدعوى نخبوية بدورها تستهدف فقط قارئاً يشارك السارد/الكاتب الوعي ذاته والخلفية ذاتها... كما جاء على لسان حفيظ السدراتي رفيق فالح الحمزاوي في النضال: "إذا لم

الإحالات والهوامش:

¹⁶ -Tratè de l'argumentation ; la nouvelle rhétorique ; éd.de l'Université de Bruxelles ;1970 ;p249.

¹⁷ -Esquisse d'une théorie polyphonique de l'énonciation ; in : Le Dire et le dit ; les éditions de Minuit ; Paris ;1984 ;pp171-233.

¹⁸ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 108.

¹⁹ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 109.

²⁰ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 110.

²¹ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 112.

²² - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 116.

²³ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 118.

²⁴ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 119.

²⁵ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 120.

²⁶ - نفسه.

²⁷ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 121.

²⁸ - نفسه.

²⁹ - تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 125.

³⁰ - Dominique Mangueneau :Problèmes d'éthos ; op cit ; p60

³¹ - برادة محمد (2014):بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، ص 11.

³² - نفسه.

³³ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور ص 11.

³⁴ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور ص 13.

³⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور ص 66.

³⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور ص 153.

³⁷ - Dominique Mangueneau :Problèmes d'éthos ; op cit ; p58.

³⁸ - منصور نبيل: حوار أجراه مع الكاتب محمد برادة ونشر في جريدة المساء بتاريخ: 10 يوليوز 2009.

¹ - محمد العمري (2013): أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق، (د.ط)، الدار البيضاء، المغرب، ص 29-30.

² -Genette Gérard(1972):Rhétorique restreinte ; Figure3; Edition du Seuil ;Paris .

³ -Barthe Rolland : L'ancienne rhétorique ; communication ;n 16 ;Seuil ;Paris.

⁴ -Reboul Olivier1986 : La figure et l'argument. In de la métaphysique a la Rhétorique.Bruxelles..

⁵ - أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، مذكور، ص 19.

⁶ - القرطاجي حازم(1986): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 19-20.

⁷ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 135.

⁸ - أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ، مرجع مذكور، ص 43.

⁹ - نفسه.

¹⁰ - نذكر على سبيل المثال "الجهود التي يبذلها مارسيلو داسكال من أجل إدماج الإيتوس داخل "بلاغة معرفية" قائمة على أسس تداولية فلسفية (مارسيلو داسكال 1999)، وهناك التصورات التي بلورتها "الدراسات الثقافية" حيث يرتبط الإيتوس بأسئلة الاختلاف الجنسي أو الإثنية (جيمس وتيتا بولين 1994)، وتلعب المتون، من جهة، دورا أساسيا في هذا التنوع: المشاكل التي يطرحها تطبيق الإيتوس على نص فلسفي من القرن 91 غير المشاكل التي يطرحها تطبيقه على تفاعل عبر المحادثة..."

Dominique Mangueneau(2002):Problèmes d'éthos ; Pratiques ; n 113/114 ; p60.

¹¹ - حاتم عبيد(2013): في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، ص 117.

¹² - الحجاج عند أرسطو، ص 146.

¹³ - في تحليل الخطاب، مرجع مذكور، ص 97-98.

¹⁴ -Ruth Amossy : L'éthos au carrefour des disciplines.in :Image de soi dans le discours. P136.

¹⁵ - Dominique Mangueneau :Problèmes d'éthos ; op cit ; p60.

- ³⁹ - محمد الداوي: محمد برادة.. مفرد بصيغة الجمع، من موقع الناقد المغربي محمد الداوي، ونشرت هذه المداخلة بالمحقق الثقافي لجريدة الأحداث المغربية يوم الجمعة 25 ماي 2012 العدد 4673. (موقع الناقد محمد الداوي: <https://www.mohamed-dahi.net>).
- ⁴⁰ - منصور نبيل، مرجع مذكور.
- ⁴¹ - مفرد بصيغة الجمع، مرجع مذكور.
- ⁴² - نفسه.
- ⁴³ - منصور نبيل، مرجع مذكور.
- ⁴⁴ - قهواجي إبراهيم: استراتيجية الميتا تخيل في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" لمحمد برادة، نشر في الجريدة الإلكترونية "الموجة" بتاريخ 28 يونيو 2019، vague.culturelle@gmail.com
- ⁴⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص15.
- ⁴⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص88.
- ⁴⁷ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص12.
- ⁴⁸ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، صص13-14.
- ⁴⁹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص24.
- ⁵⁰ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص236.
- ⁵¹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع سابق، ص58.
- ⁵² - نفسه.
- ⁵³ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص58.
- ⁵⁴ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص61.
- ⁵⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص110.
- ⁵⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص115.
- ⁵⁷ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص113.
- ⁵⁸ - نفسه.
- ⁵⁹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص106.
- ⁶⁰ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص117.
- ⁶¹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص125.
- ⁶² - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص127.
- ⁶³ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص135.
- ⁶⁴ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص134.
- ⁶⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص148.
- ⁶⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، صص149-150.
- ⁶⁷ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص150.
- ⁶⁸ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص151.
- ⁶⁹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، صص170-171.
- ⁷⁰ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص172.
- ⁷¹ - نفسه.
- ⁷² - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، صص154-153.
- ⁷³ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص177.
- ⁷⁴ - نفسه.

ent2424.php ;page consultée le 10 juillet 2019.

⁹³ - Ibid.

⁹⁴ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، 120.

⁹⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص159.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب باللغة العربية:

- برادة محمد(2014): بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان.
- حاتم عبيد: في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن.
- القرطاجني حازم (1986): منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- محمد العمري(2013): أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، (د.ط)، الدار البيضاء، المغرب.
- المقالات والحوارات:
- الداهي محمد: محمد برادة.. مفرد بصيغة الجمع، من موقع الناقد المغربي محمد الداهي، ونشرت هذه المداخلة بالملحق الثقافي لجريدة الأحداث المغربية يوم الجمعة 25 ماي 2012 العدد 4673. (موقع الناقد محمد الداهي: <https://www.mohemed-dahi.net>)
- قهوايحي إبراهيم (2019): استراتيجية الميتا تخيل في رواية "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" لمحمد برادة، نشر في الجريدة الالكترونية "الموجة" بتاريخ 28 يونيو 2019، vague.culturelle@gmail.com
- منصور نبيل: حوار أجراه مع الكاتب محمد برادة ونشر في جريدة المساء بتاريخ 10 يوليوز 2009.

الكتب باللغة الأجنبية:

- ⁷⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص178.
- ⁷⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، 178.
- ⁷⁷ - نفسه.
- ⁷⁸ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور
- ⁷⁹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص179.
- ⁸⁰ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص180.
- ⁸¹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص181.
- ⁸² - نفسه.
- ⁸³ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص185.
- ⁸⁴ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص186.
- ⁸⁵ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص187.
- ⁸⁶ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص191.
- ⁸⁷ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص193.
- ⁸⁸ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع سابق ص211.
- ⁸⁹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص202.
- ⁹⁰ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص209.
- ⁹¹ - بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات، مرجع مذكور، ص221.

⁹² - Dominique Maingueneau :Le recours a l'éthos dans l'analyse du discours littéraire ; Fabula/les colloques ;Posture d'auteurs : du Moyen Age a la modernité ; URL :[http :www.fabula.org/colloques/docum](http://www.fabula.org/colloques/docum)

- Barthe Rolland : L'ancienne rhétorique ; communication ; n 16 ;Seuil ;Paris.
- Dominique Mangueneau2002 :Problèmes d'éthos ; Pratiques ; n 113/114 .
- Dominique Maingueneau2019 :Le recours a l'éthos dans l'analyse du discours littéraire ; Fabula/les colloques ;Posture d'auteurs : du Moyen Age a la modernité ; URL :[http :www.fabula.org/colloques/docum ent2424](http://www.fabula.org/colloques/docum ent2424).
- Ducrot.o1984 :Esquisse d'une théorie polyphonique de l'énonciation ; in : Le Dire et le dit ; les éditions de Minuit ; Paris.
- Genette Gérard1972 :Rhétorique restreinte ; Figure3; Edition du Seuil ;Paris.
- Perlman.Ch et Olbrechts-Tyteca1970:Tratè de l'argumentation ; la nouvelle rhétorique ; èd.de l'Université de Bruxelles.
- Reboul Olivier1986 : La figure et l'argument. In de la métaphysique a la Rhétorique.Bruxelles.
- Ruth Amossy : L'èthos au carrefour des disciplines.in :Image de soi dans le discours.